شخصية المتدين في الرواية المصرية

(النمط السلبي نموذجًا)

د. عبد الرحمن إبراهيم فودة

مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

كلية دار العلوم، جامعة القاهرة

قارئ الرواية العربية ـ والمصرية خصوصًا ـ يجد مساحة كبيرة قد أفردت لتناول الشخصية المتدينة في جميع أنماطها الحياتية، من شخصية معتدلة متوازنة مع نفسها، إلى شخصية انتهازية متناقضة مع ذاتها، أو شخصية منعزلة تجنح إلى شيء من التصوف بعيدا عن واقع الحياة.

وقد رأينا من كتّاب الرواية من رسم شخصية الداعية المجاهد الذي يؤدي دوره نحو دينه ووطنه(١)

ومنهم من صوّر المتدين زاهدًا في الحياة، منشغلًا بالأوراد والأذكار، ملازمًا للموالد، وربما خارجًا عن دائرة العقلاء(٢).

ومنهم من صور المتلون ـ المنافق ـ الذي يظهر في ثوب الدين أمام الناس؛ ليستغل جهلهم، أو ضعفهم؛ لتحقيق مآربه ومطامعه(٣).

وكذلك رأينا من رسمه باحثًا عن الشهوات والملذات(٤)، أو متشددًا في الدين منفرًا عنه(٥).

وقد آثر البحث أن يختار ثلاث روايات لثلاثة كُتّاب(٦)أبرزوا الجانب السلبي في الشخصية المتدينة بصورة لافتة كشفت عن التناقض الحاد بين ما ينبغي أن تكون عليه هذه الشخصيات وبين الواقع السيء الذي تلبست به في تدينها المنقوص.

والروايات هي:

- الأيام، لطه حسين
- الأرض، لعبد الرحمن الشرقاوي
- أميرة الجبل، لنجيب الكيلاني

وطريقة الكُتّاب في رسم الشخصية قد تكون بأسلوب مباشر عن طريق السرد والوصف أو الحوار، وقد تكون بأسلوب غير مباشر عن طريق

الأحداث وتصرف الشخصية إزاءها وكذلك أقوالها، وبعض النقاد يطلق اصطلاح ((الطريقة التحليلية)) و((الطريقة التمثيلية)) لهاتين الطريقتين على الترتيب(٧).

ويرى (حسين قباني) أن الشخصية الروائية تتضح من خلال أبعاد ثلاثة هي :

- البعد الخارجي: ويشمل المظهر والسلوك الظاهري للشخصية
- البعد الداخلي: ويشمل الأحوال النفسية والفكرية والسلوك الناتج عنها
- البعد الاجتماعي: ويشمل المركز الذي تشغله الشخصية في المجتمع وظروفها الاجتماعية بوجه عام(٨).

والأبعاد الثلاثة لا تُكتشَف إلا من خلال إحدى الطريقتين السابق ذكرهما، ففي الأسلوب المباشر تبرز الصورة الخارجية للشخصية ويلجأ إليها الكاتب لما تتيحه من تصوير دقيق، قد يكون له أثر في سلوكياتها، والسمات الجسدية ـ التي لا دخل للمرء فيها، إذ هي خلقة ـ تصعب على الروائي اصطناع أحداث بعينها لتوضيحها، بخلاف الصفات النفسية، أو الأخلاقية ـ كالكرم والبخل، والصدق والكذب، والشجاعة والجبن، فإنها تبرز من خلال الأحداث التي تمر بها الشخصية في العمل الروائي.

وللشخصية الروائية تصنيفات عديدة: بعضها يتعلق بموقف الشخصية من الأحداث وقدرتها على النمو وإدارة حركة الصراع، وبعضها يرتبط بموقف الشخصية من الأحداث إيجاباً أو سلباً، وبعضها الثالث يتصل بتعبير الشخصية عن الإنسان الفردي، أو النموذج الاجتماعي(٩).

وبالنسبة للتصنيف الأول نجد أن الشخصية الروائية: إما مسطحة، أو نامية، وبالنسبة للتصنيف الثاني فهي: إما إيجابية، أو سلبية.

ثم أخيراً: إما شخصية فردية نمطية، وإما نموذجية اجتماعية.

وليس المقصود بالمواقف الإيجابية القبول والتصالح مع الوضع الذي يفرض عليها، فليس المراد أن تكون نتيجة التفاعل تصالحًا مع الظروف المفروضة، وطواعية حيالها، فقد تتجلى هذه القدرة الإيجابية حتى في الاستجابة السلبية، الاستجابة بالرفض، والاحتكاك بالرفض، والتفاعل بالرفض[١٠].

كما أن الشخصية قد تكون فردية تمثل فردًا في خصائصه وصفاته، وقد تكون نموذجية تمثل طبقة أو فئة بحيث تجتمع فيها صفات تصدق على عدة أفراد يمثلون هذه الفئة[١١]

إضافة إلى أنها تنقسم بحسب دورها في صناعة الأحداث إلى رئيسة وثانوية فينظر في تأثير الشخصية في تطورها عبر العمل الروائي، وكثرة بروزها على الساحة دون النظر إلى قيمتها الحقيقية في الواقع، فربما تقابلنا شخصية ملك أو وزير لا تؤدى إلا دورًا ثانويًا لا يسهم في صناعة الأحداث، وربما تقوم رواية كاملة على شخصية من الشخصيات المطحونة في الواقع كعامل النظافة أو شخص متسول لكن تشارك في العمل بقوة "وكثيرًا ما يوفق الكاتب إلى نفخ الحياة في شخصياته الثانوية وذلك لأنه يقتبسها من الحياة رأسًا دون أن يعنى بتهذيبها أو صقلها أو الإضافة إليها "[١٢].

في ضوء تلك التصنيفات يتناول البحث هذه الروايات المختارة مركزًا على البعد الشكلي أو الخارجي، والبعد الداخلي (النفسي والسلوكي) مع البعد الاجتماعي لهذه الشخصيات، وذلك من خلال آليتي الوصف والحوار عند كل كاتب.

الأيام، لطه حسين:

تحكي الرواية السيرة الذاتية لكاتبها، وهو بطلها الذي تدور حوله الأحداث، وقد ألحقه والده بكُتّاب القرية ليحفظ القرآن على يد (سيدنا) مقابل أجر يجريه عليه والد (الصبي)، وتستمر الأحداث حتى يسافر إلى باريس للدراسة.

لقد لعبت شخصية (سيدنا) دوراً مؤثراً في وجدان (الصبي)، وتركت به ذكريات ظلت عالقة بذهنه حتى ذلك الحين الذي كتب فيه قصة حياته، ومن ثَم فإن شخصية (سيدنا) من الشخصيات الرئيسة والفاعلة والمؤثرة في أحداث الرواية.

البعد الخارجي للشخصية:

قال عنه الراوي: "كان ضخمًا بادنًا، وكانت دفّيّته تزيد في ضخامته"(١٣) ربما لا يعطي هذا الوصف معنى خاصًا بوظيفة الرجل إلا ما شاع عند كثير من الناس أن المشايخ يهتمون كثيراً بالطعام إلى حد الشراهة، لا سيما قرّاء القرآن الذين يقرأونه في مجالس العزاء، أو محفظي القرآن في الكتاتيب.

"وقد كان ضريراً إلا بصيصًا ضئيلًا جداً من النور في إحدى عينيه، يمثل له الأشباح دون أن يمكنه أن يتميزها، وكان الرجل سعيداً جداً بهذا البصيص الضئيل، وكان يخدع نفسه ويظن أنه من المبصرين، ولكن ذلك لم يكن يمنعه من أن يعتمد في طريقه إلى الكُتّاب وإلى البيت على اثنين من تلاميذه... "(١٤).

وهذا الوصف أيضًا كثيراً ما يوصف به أهل القرآن ـ وهو انكفاف البصر ـ غير أن الكاتب يوحي بوصفه بالسعادة بهذا البصيص وهو يخدع نفسه بذلك ـ أن هناك أموراً تنطوي عليها نفسية هذا الرجل ـ ، وقد بين الكاتب أن (سيدنا) ذو لحية، وهو وصف لازم ـ في الغالب ـ لمن يقومون

بوظيفة من الوظائف الدينية، وقد رسم ذلك بطريقة غير مباشرة حين قرأ الصبي شيئًا من القرآن وفرح به أبوه، فقال (سيدنا): ((فقد رفعت رأسي وبيضت وجهي وشرفت لحيتي))[١٥] فاللحية عند (سيدنا) رمز للكرامة والمهابة، ولذلك كان دائمًا يذكر (الصبي) بها ويجعله يتحسسها بيديه، ثم يستحلفه ألا يكون سببًا في مهانتها

"ووضع يد الصبي على لحيته، وقال: هذه لحيتي أسلمك إياها، وأريد ألا تهينها، فقل : والله العظيم ثلاثًا، وحق القرآن المجيد لا أهينها"[١٦].

البعد الداخلي (النفسي والسلوكي):

إذا كان الكاتب لم يسهب في الوصف الحسي لهذه الشخصية، فإنه قد أسهب في وصفها معنويًا، وقد برع في الوصف عن طريق الاعتماد على ذكر المواقف التي تظهر فيها هذه الصفات بجلاء، وهي صفات لا تتناسب مع رجل من أهل الدين وحفظة القرآن، ويقوم بتحفيظ الصبية كتاب الله عز وجل حيث ينبغي أن يكون أسوة حسنة لتلاميذه، لكنه على خلاف ذلك، فقد كان حريصًا بخيلًا، فعندما أرسل أحد صبيان الكُتّاب إلى الحُزَيِّن ليرقع له نعله قال له:

"...يقول لك سيدنا إنه عميلك منذ زمن طويل، فاستوص بالأجر خيرًا، ومهما يقل لك فلا تقبل منه أكثر من قرش، ثم عد إليّ مسافة ما أغمض عيني ثم أفتحها، وينطلق الصبي ويلهو عنه سيدنا ثم يعود، وقد أغمض سيدنا عينه وفتحها مرة ومرة ومرات"[١٧].

ولا يعطي الطريق حقه، حيث كان يعتمد في طريقه إلى الكُتّاب وإلى البيت على اثنين من تلاميذه..

"يبسط ذراعيه على كتفي كل واحد منهما، ويمشي الثلاثة في الطريق هكذا! قد أخذوها على المارة، حتى إنهم ليتنحون لهم عنها"[١٨]

كما أنه لم يكن يعرف ـ أو بالأحرى يعمل ـ بآداب الاستئذان التي طالما نص عليها القرآن الكريم الذي يحفظه للأولاد..

"حتى إذا بلغوا البيت دفع سيدنا الباب دفعًا، وصاح صيحته المعتادة ((يا ستار))"(١٩)

ولا شك أن آداب الاستئذان تكاد تكون من البدهيات عند الناس، فما بالك بمن يحفظ القرآن ويعرفها ، لقد عرّى الكاتب شخصية (سيدنا) من أية صفة إيجابية وألبسه حلل الخزي والعار التي لا تتناسب مع ما ينبغي أن يكون عليه واحد من أهل القرآن، فكل الصفات المذكورة هي صفات سلبية تنقص من قدر الرجل وقيمته، فتبرزه متناقضًا أبعد ما يكون عن الصورة المثلى التي تقفز إلى ذهن المتلقي حين يسمع، أو يقرأ اسم الشيخ أو صاحب الوظيفة الدينية، فسيدنا هذا نَهِمٌ وجشع في المطالبة بما له من حقوق عند من يحفظهم القرآن، هذه الحقوق ـ غالبًا ـ طعام وشراب وثياب ومال..

"فأما الحقوق التي كان يقتضيها إذا ختم صاحبنا القرآن، فعشوة دسمة قبل كل شيء ثم جبة وقفطان وزوج من الأحذية، وطربوش مغربي وطاقية من هذا القماش الذي تتخذ منه العمائم، وجنيه أحمر، لا يرضى بشيء دون ذلك. فإذا لم يؤد إليه هذا كله فهو لا يعرف الأسرة ولا يقبل منها شيئًا، ولا صلة بينه وبينها، وهو يقسم على ذلك بمحرجات الأيمان"(٢٠).

ويعلق على سوء حفظ الصبي بأن سبب ذلك هو عدم إعطائه حقه على التحفيظ، فيقول: "ولكن الذنب ليس عليك ولا عليّ، وإنما هو على أبيك، فلو أنه أعطاني أجري يوم ختمت القرآن لبارك الله في حفظك ولكنه منعني حقي، فمحا الله القرآن من صدرك"(٢١)

لم يكن (سيدنا) متقنًا في عمله، بل كان مهملًا..

"الحق أن سيدنا أهمله ـ أي: الصبي ـ حينًا، وعني بغيره من الذين لم يختموا القرآن ، أهمله ليستريح، وأهمله لأنه لم يتقاض أجرًا على ختمه القرآن..."(٢٢).

وإلى جوار هذه الصفات فقد كان (سيدنا) كذابًا أشرًا وحلافًا مهينًا ـ هكذا يصوره الكاتب ـ، ولعل هذا الحوار يكشف عن هذه الصفات:

"قال الشيخ: هون عليك، ومالك لا تقول إنه نسي القرآن ثم أقرأته إياه مرة أخرى، قال: أقسم بالله ثلاثًا ما نسيه ولا أقرأته، وإنما أسمعت له القرآن فتلاه عليّ كالماء الجاري، لم يقف ولم يتردد، وكان صاحبنا يسمع هذا الحوار، وكان مقتنعًا أن أباه محق وأن سيدنا كاذب لكنه لم يقل شيئًا ولبث فانتظر الامتحان"(٢٣).

ويتكرر من سيدنا الحلف الكاذب بل والحلف بالطلاق كذلك، وهي صفات ينبغي أن تكون بعيدة عن مثله، لاسيما وهو يؤدي وظيفة عظمى في تحفيظ الأبناء كتاب الله تعالى.

عاد الصبي من الكتّاب حافيًا وزعم لأبيه أنه نسي نعليه في الكتّاب فاشتد غضب أبيه على سيدنا وانتهره قائلا:

"إذن فهو يذهب إلى الكتاب لا ليقرأ ولا ليحفظ ولا لتعنى به أو تلتفت إليه وإنما هو لعب وعبث ولقد عاد اليوم حافيًا ...وما أظن عنايتك بحفظه للقرآن إلا كعنايتك بمشيه حافيًا أو ناعلًا. قال سيدنا: أقسم بالله العظيم ثلاثًا ما أهملته يومًا، ولولا أني خرجت اليوم من الكُتّاب قبل انصراف الصبيان ما رجع حافيًا وإنه ليقرأ عليّ القرآن مرة في كل أسبوع ستة أجزاء في كل يوم أسمعها منه متى وصلت في الصباح. قال الشيخ: لا أصدق من هذا شيئًا. قال سيدنا: امرأتي طالق ثلاثًا ما كذبتك قط وما أنا بكاذب الآن وإني لأسمع له القرآن مرة في كل أسبوع. قال الشيخ: لا أصدق. قال سيدنا: أفتظن أن ما تدفع إليّ في كل شهر أحب إليّ من امرأتي؟ أم تظن أني في سبيل ما تدفع إليّ أستحل الحرام وأعيش

مع امرأة طلقتها ثلاثًا بين يديك؟ قال الشيخ: ذلك شيء لا شأن لي به ولكن هذا الصبي لن يذهب إلى الكتّاب منذ غد. ثم نهض فانصرف ونهض سيدنا فانصرف كئيبًا محزونًا. وظل صاحبنا في مكانه لا يفكر في القرآن ولا فيما كان وإنما يفكر في مقدرة سيدنا على الكذب وفي هذا الطلاق المثلث الذي ألقاه كما يلقي سيجارته متى فرغ من تدخينها"[٢٤].

هذا الحوار على طوله يكشف هذه الصفات السيئة في سيدنا وقد اعتمد الكاتب على الحوار لينطق الشخصية بما يظهره وهو أكثر إقناعًا ثم إن الكاتب يشير في الجملة الأخيرة إلى أن سيدنا لا يتورع أيضا عن التدخين الذي هو صفة تتنافى مع وظيفته ووقاره ومن قبل أشار إلى أنه محب للغناء رغم قبح صوته ونكارته وتزداد صورة سيدنا قتامة حين يصوره الكاتب غير متقن للقرآن تجويداً أو قراءةً فقد جاء إليهم مفتش تخرج في مدرسة الفنون والصنايع لكنه درس فترة في الأزهر ثم انصرف عن الدراسة الدينية وكان مجيداً لفن التجويد ذا صوت ندي بالقرآن..

"وكان الصبي معجبًا بهذا العلم وكان يتحدث به إلى أترابه في الكُتّاب وكان يبين لهم أن سيدنا لا يحسن المد ولا يتقن الغن ولا يعرف الفرق بين المد الكلمي والحرفي... وكانت أصداء هذا كله تصل إلى سيدنا فتغمه وتحزنه وتخرجه أحيانًا عن طوره"[٢٥].

ربما كان الكاتب حريصًا على ذكر المفتش ومدحه بهذه الصورة ليكون معادلًا مثاليًا أو نموذجيًا لما ينبغي أن يتحلى به حافظ القرآن من إتقان الحفظ للقرآن بأحكام التلاوة والتجويد وأيضًا عدم اشتراط الأجر في تحفيظه وتعليمه كما فعل المفتش حين عرض على والد الصبي أن يخصص له وقتًا كل يوم لإعداد ولده للأزهر دون أن يشترط لذلك أجراً كما كان سيدنا حريصًا على الأجر مبالغًا في المطالبة به.

لقد صور الكاتب (سيدنا) بصورة منفرة متناقضة بينة التناقض حتى إن أقرب الناس إليه وهو العريف الذي يساعده في الكُتّاب كان يكرهه أشد الكراهية

"كان العريف يبغض سيدنا بغضًا شديداً ويزدريه ولكنه يصانعه وكان سيدنا يكره العريف كرهًا عنيفًا ويحتقره ولكنه يتملقه، فأما العريف فكان يكره سيدنا لأنه أثر غشاش كذاب يخفي عليه بعض موارد الكُتّاب ويستأثر بخير ما يحمله الصبيان معهم من طعام ويزدريه لأنه كان ضريراً يتكلف الإبصار وكان قبيح الصوت يتكلف حسن الصوت"(٢٦).

وصف الكاتب (سيدنا) بأنه يفعل فعل الدجاجلة وأن في عقيدته خللًا فعندما نزل وباء الكوليرا لم يفزع سيدنا إلى كتاب الله كما كان منتظراً منه بل فَعَلَ فِعْلَ الدجالين وكان سيدنا قد أكثر من الحجب وكتابة المخلفات..

"وهذه المخلفات هي مخلفات النبي(ص) :

مخلف طه سبحتان ومصحف ... ومكحلة سجادتان رحًى عصا

تكتب على ورق أبيض صقيل مقطوع قطعًا طويلة عريضة بعض العرض وتستخدم كحجب"(٢٧).

هكذا كانت صفات سيدنا النفسية مخالفة لشرف وظيفته ورفعتها ومن ثم خلفت أثراً سيئًا في نفس الصبي ونفس والده وغيرهما.

بالجملة كانت شخصية سيدنا من الشخصيات الرئيسة التي بني عليها العمل كما كانت من الشخصيات المتناقضة وإن كانت فردية لا تمثل قطاعًا عريضًا من الناس.

ويبدو أن الكاتب صاحب موقف من الشخصيات الدينية حيث لم يكتف بالجانب السلبي عند سيدنا وإنما أظهر عدداً من رجالات الأزهر على نحو

من السوء أيضًا فحين تكلم عن علماء المدينة ذكر فيهم كاتبًا في المحكمة الشرعية "قصيراً ضخماً غليظ الصوت جهوريه يمتلئ شدقه بالألفاظ حين يتكلم فتخرج إليك هذه الألفاظ ضخمة كصاحبها وتصدمك معانيها كما تصدمك مقاطعها"(٢٨)

وهو رجل حنفي المذهب متعصب له حانق على من يتبعون المذهب الشافعي أو المالكي "وأهل الريف مكرة أذكياء فلم يكن يخفى عليهم أن الشيخ إنما يقول ما يقول ويأتي من الأمر ما يأتي متأثراً بالحقد والموجدة..."(٢٩).

وبعد أن ذكر الكاتب طائفة من علماء المدينة قال:

"هؤلاء هم العلماء ولكن علماء آخرين كانوا منبثين في هذه المدينة وقراها وريفها ولم يكونوا أقل من هؤلاء العلماء الرسميين تأثيراً في دهماء الناس وتسلطًا على عقولهم..."(٣٠)

هذا فضلًا عن ذكره لشيوخ الطرق الصوفية الذين يجوبون البلاد لإحياء الليالي إنشاداً وطرباً وطعاماً ويصف مكانة بعضهم عند الناس حيث يستبقون إليه ويختصمون أيهم يصب عليه الماء..

" فإذا فرغ فانظر إليهم يستبقون ويختصمون أيهم يصب من وَضُوء الشيخ جرعة.."(٣١)

وفي مقابل كل هؤلاء أظهر المفتش في صورة بهية.

"قال القوم: وكيف لمطربش يتكلم الفرنسية يحفظ القرآن ورواية القراءات؟! قال المفتش: أنا أزهري تقدمت في دراسة العلوم الدينية إلى مدى بعيد ثم انصرفت عنها إلى المدارس فتخرجت في مدرسة الفنون والصنائع. قالوا: فاقرأ لنا شيئًا. فنزع الرجل نعليه وتربع ورتل لهم سورة هود ترتيلًا ما سمعوا مثله. فلا تسل عن إعجابهم به وإكبارهم إياه

ولا تسل عما أصاب سيدنا من الحزن والغيظ فقد قضى الرجل ليلته كأنه مصعوق"[٣٢].

إذن.. لم تكن شخصية (سيدنا) هي الشخصية الوحيدة التي وصف الكاتب تدينها بصورة سلبية، فهل هي نظرة خاصة بالكاتب الذي رحل إلى أوروبا ودُهش بحضارتها ومن ثَم انصبت منه اللعنات على من يمثلون الموروث العربي؟ لعلنا نلاحظ أن (سيدنا) محفظ القرآن الكريم لم ينطق بآية من القرآن وكأن معجم القرآن الذي ينبغي أن يكون حافظا متقنًا له قد خلا منه قلبه فلم يرد على لسانه آية أو آيات يعضد بها مواقفه أو يسوغها إذا لزم الأمر.

إن (سيدنا) شخصية مؤثرة في هذا العمل الأدبي وهي شخصية مسطحة لزمت إطاراً واحداً منذ رسمها الكاتب حتى اختفائها عن مسرح الأحداث، وهي شخصية سلبية غير فاعلة في مجتمعها بل هي متناقضة مع ما ينبغي أن تكون عليه، وقد استخدم الكاتب في تصوير هذه الشخصية أسلوبي الوصف والحوار فكشف عن دخيلتها وأبرز صفات النقص والسلب فيها بصورة تنفر القارئ والسامع على السواء ولا شك أنه نجح في ذلك نجاحًا باهراً.

(الأرض)، لعبد الرحمن الشرقاوي:

تصور الرواية تمسك الفلاح المصري بأرضه حيث لا يدعها إلا مقهوراً والرواية تجسد الصراع بين محمود بك الإقطاعي والفلاحين، حيث استحوذ على القدر الأكبر من المساحة الزمنية ليروي أراضيه ولم يدع إلا فترات قصيرة للفلاحين ليرووا أرضهم، فتصدى له الفلاحون ثم يقوم بشق طريق تصل بين قصره الخاص والطريق العمومي، فقام بنزع ملكية عدد من أراضي الفلاحين البسطاء، فتجمع الفلاحون لمنع ذلك ودار بينهم وبينه صراع حسمته الحكومة بالوقوف إلى جواره دون الفلاحين.

تناول (الشرقاوي) في الرواية عدداً من الشخصيات التي أعطيت لقب (شيخ) منهم الشيخ يوسف البقال وهو رجل مستغل وقد كان يلبس الزي الأزهري ويجيد القراءة حيث يجلس في دكانه مع رفاقه يقرأ لهم من السير الشعبية وقد حاول أن ينال منصب عمدة القرية فبذل لذلك المال عن طريق الرشوة.

ومنهم الشيخ حسونة الذي كان حلقة الوصل بين القرية والمدينة حيث يعمل بالقاهرة ويتردد على القرية ويحاول مع أبناء قريته حل المشكلات المتعلقة بالمياه ثم بالطريق الذي يشق أراضي الفلاحين البسطاء ليصلها بقصر محمود بك.

وقد أشاع بعض الخبثاء أنه انحاز لمحمود بك في مقابل نجاة أرضه لكنه أبطل هذه الشائعة في حواره مع محمد أبو سويلم.

والشيخ الثالث هو الشيخ الشناوي إمام المسجد وهو الشخصية التي سيتوقف معها البحث ؛ لأنه صاحب وظيفة دينية وقد شغل مساحة كبيرة في الرواية.

الشناوي أحد أبطال الرواية يصفه الكاتب في بعده الجسمي أو الخارجي بأنه..

"رجل طويل عريض ضخم الجثة غليظ القفا عظيم الكرش يحب الموالد والطعام وكنا نحسب نحن الصغار أنه يستطيع أن يضع في بطنه بقرة!! وهو رجل يحبه الجميع ويضحكون معه ولا يكاد يوجد في القرية رجل لم يذق عصا سيدنا الشيخ الشناوي عندما كان يقرأ في الكُتّاب"(٣٣).

كما وصفه الكاتب بأنه ذو لحية، فقد كان..

"يدعك لحيته القصيرة البيضاء وحبات مسبحته ترتطم ببعضها مرسلة الرنين المعهود الذي ينبه بيوت القرية إلى مقدمه"(٣٤).

واللحية رمز للتمسك بالدين وتوحي بالوقار لا سيما إذا وصفت بالبياض فهي دليل كبر سن صاحبها مما يعطي شيئًا من الجلال أو الإجلال كما أنه أضاف المسبحة وهي من لوازم كثير من المشايخ وخصوصًا في الأرياف لتوحي بأن الشخص كثير الذكر لله ومن ثَم فهو دليل تمسكه والتزامه بالدين.

ونلاحظ من خلال الوصف أن الكاتب يشكل لنا صورة سيئة لهذا الشيخ فهو (ضخم الجثة)، (عظيم الكرش)، (يحب الموالد والطعام)، (يستطيع أن يضع في بطنه بقرة) وهي صفات تبرز شراهة الرجل في الطعام وهو إمام المسجد وخطيب القرية وكأن الكاتب يحدث مفارقة بين ما ينبغي أن يكون عليه صاحب هذه الوظيفة من الزهادة في الدنيا وعدم الإقبال عليها والواقع الذي تظهره هذه الصفات بصورة الأكول الشره.

ويصفه الكاتب من الناحية الاجتماعية بأنه فقيه القرية ومفتيها وخطيب مسجدها ومأذونها الشرعي ومعلم الأولاد وواعظ الكبار، كما أنه لم يكن يملك في كل أرض القرية غير المقبرة وكان رجلًا محافظًا يسعى لتطبيق الدين في كل صغيرة وكبيرة مناديًا بتحري الحلال وتجنب الحرام، يتوعد العصاة والمخالفين، يحرص على إقامة الصلاة في موعدها ويظهر حرصه على دعوة أهل القرية للصلاة في الجامع:

"إذا رأى عبد الهادي عاتبه بغضب لأنه لم يصلِّ العشاء وانقطع تمامًا عن المسجد مع أنه بجوار داره... ووقف الشيخ الشناوي يسلم على عبد الهادي قائلًا: تتعدل إزاي يا عبد الهادي من غير صلاة؟ ابقى حوِّد على الجامع في الفجر اخطف لك ركعتين خلي ربنا يبارك لك في الأرض"(٣٥).

أما الصفات النفسية فهي في مجملها إيجابية تسهم في إصلاح أبناء القرية وربطهم بخالقهم عن طريق الصلاة وتحري الحلال وكم حذرهم من الحرام، فقد سرق (علواني) كيزان الذرة من مخازن العمدة فصرخ فيه الشيخ الشناوي:

"ايه يا ولد يا عرباوي ده؟! يانهارك أغبر!! حرام عليك يا واد دا يوديك جهنم حرام عليك تقبل دا يا شيخ يوسف حرام قطعًا"(٣٦).

وهو دائم التسبيح يمسك مسبحته دائمًا ولا يكاد تفارق يده..

"وحبات مسبحته ترتطم ببعضها وصوته يختلج بهمهمة يبين من حين إلى آخر كلمة: بسم الله الحفيظ، أعوذ بالله"(٣٧)

كما أنه يحرص على البقاء طاهراً محافظًا على وضوئه فلا يريد أن تمس يده يد امرأة حتى لا تنقض وضوءه(٣٨).

هذه ولا شك صفات إيجابية توحي بأن شخصية الشناوي شخصية سوية متوافقة مع نفسها وهي أمور منتظرة من مثل هذه الشخصية التي تقوم بدور الإمامة والوعظ وعلى هذا فتكون الشخصية مسطحة جامدة على حال واحد رغم إيجابيتها لكن الكاتب لم يمنع هذه الشخصية من إتيان أفعال تبرر ما عندها من تناقض ووقوع في سلبيات ونقائص تتنافى مع شخصية المتدين.

فمن الصفات السلبية عند الشيخ الشناوي معاملته العنيفة للصغار بدلًا من دعوتهم بالحسنى وكثرة سبه ولعنه واتهام الناس بالكفر ووصفهم بأنهم

خنازير وأنجاس هذا فضلًا عن سلبيته في مواطن كانت تقتضي موقفًا إيجابيًا من صاحب كلمة مسموعة كإمام الجامع...

من ذلك.. انتهاره للأطفال الصغار الذين يلعبون حول المصلى فيقول لهم:

"انجر منك له لها.. انجروا بعيد عن المصلية أحسن تنجسوها!! يعني طهايين أوي إلا أهاليكوا ما بتهوب ناحية الجامع"(٣٩).

ولما رآهم عراة يلعبون ارتفع صوته قائلًا:

"هو انتوا؟ آه يا أنجاس يا خنازير! وفي المصلى كمان!! والله لأرميكوا في البحر"(٤٠)

ويتهمهم بالكفر والفجور:

"وكمان قدامي ترقدوا على بعض قدامي يا كفرة يا فجرة غوروا من هنا "(٤١)

ولما قتلت خضرة قال الشيخ الشناوي بدون تردد: "إن علواني هو الذي قتلها. واعترض عبد الهادي مستنكرًا: علواني؟! علواني كان معانا دلوقت! علواني يقتلها ليه؟ فقال الشيخ الشناوي: حاكم هو كافر وقليل الدين وقتال قتلا.. وعمره ما ركعها.. عرباوي يا سيدي ((قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا)) ربنا قال كده(٤٢).

فهو فضلًا عن انتهاره للأطفال في موضع تقتضي الحكمة والموعظة الحسنة خلافه فهو كثير السب بلفظ (نجس ـ أنجاس) كما أنه يطلق أحكام الكفر على من يرى منه تقصيرًا ظاهرًا في أمور الدين كما أن موازين الإحسان والإساءة عنده مختلة ...لقد رفض أن تدفن خضرة في مقابر المسلمين بحجة أنها عاصية لله فذكر له عبد الهادي أنها وحيدة

وليس لها أحد إلا أختها (زنوبة) التي تملك خمارة في مصر وراء حديقة الأزبكية وقد أصبح اسمها إحسان هانم...

"صاح فيه الشيخ الشناوي: إن إحسان هانم ليست كخضرة وقد غفر الله لها لأنها تصدقت وأقامت ليلة لأهل الله ومولداً للنبي وتبرعت للجامع.. وهمّ الشيخ الشناوي أن يروي حديثًا عن امرأة مثلها دخلت الجنة غير أن عبد الهادي قاطعه وهو يضحك: فاهم!! مادام عندها دهب ومساغ وبتعمل مولد وبتدفع للفقها والجامع دي طبعًا يبقى ليها في الجنة سراية وجنينة كمان! ومافيش مانع تبقى قريبتك..

يعني لو خضرة راحت مصر وعملت زي اختها ودارت مع رجالة مصر كانت تبقى من التائبات الصالحات! ويا عالم كانت تبقى ايه كمان لكن ما دام قعدت في بلدنا بقت نجسة!

وقبل أن يجيبه الشيخ الشناوي استمر يقول مستنكراً وهو ينظر إلى وجه الشيخ: ياسيدنا الشيخ.. بقى ده كلام؟

مين اللي نجسة في الأختين؟

اللي بتشقى عشان اللقمة وللا اللي دايرة وفاتحة خمارة علشان تلبس دهب!! بقى بلدنا مكتوب عليها الشقا في كله كده؟!

وضرب الشيخ الشناوي كفًا بكف ونظر إلى محمد أبو سويلم وهو يداري عجزه وخجله من الضحك قائلًا: الواد عبد الهادي ده كفره ما وردش! روح ياشيخ.. الله يلعنك في كل كتاب!!"(٤٣)

وعلى الرغم من أنه مُطْلِق دائمًا سياط القول في أهل القرية، وهذا حرام وهذا حلال..، وربما استخدم عصاه أيضًا.. إلا أنه تلجم لسانه في دوار العمدة وهو يسمع من العمدة الترتيبات التي يعدها ليؤدب بها القرية: "ولم يكد الشناوي ينتهي من رواية هذا الكلام حتى ثار الشيخ يوسف

وسأل الشيخ الشناوي عما قاله للعمدة رداً على كل هذه الترتيبات ومحاولات الإيذاء فأجاب الشيخ الشناوي في طيبة بأنه لم يقل له شيئًا.

وإذ ذاك قال الشيخ يوسف: ربنا مافتحش عليك بحديث ولا بآية! ولا مثل حتى؟.. بس ماسك لي في الحرام والحلال على الهايفة؟!

بقى تسمع من العمدة الكلام ده كله وتسكت؟!!

بقى عمايل العمدة وملاعيبه دي ترضي ربنا؟

إنت بس تعترض في الهايفة؟

ولّا العمدة ده من أولي الأمر منكم؟!!

واحتقن وجه الشيخ الشناوي وزعق: دا كلام إيه اللي انت بتقوله.. إنت بتكلمني كده ليه م الصبح؟

يا أخي دا الإمام علي كرم الله وجهه بيقول: من علمني حرفًا صرت له عبداً..أنا قرّيتك في الكُتّاب قبل ما تقرأ في الأزهر تقوم تعمل معايا كده؟! إخص!!!"(٤٤)

ومن المواقف التي تبرز ما به من تناقض:

بعد نزول الهجّانة وفرض حظر التجول من بعد المغرب وضرب المخالفين بالكرباج: "وكان جيران الشيخ الشناوي يضحكون وهم يذكرون إصرار الشيخ الشناوي على أن يخرج إلى الجامع لصلاة العشاء ولقاءه مع الشاويش عبد الله.. لم يكن الشيخ الشناوي يسمع فرقعة الكرباج في الهواء ويرى منظر الشاويش عبد الله حتى جرى عائداً إلى داره وهو يلعن البلد وأهلها والجامع والصلاة والذين يصلون في الجامع!!"(٤٥)

فكأنه ابتدأ بإصرار على أداء الفريضة ودعوة الناس إليها واختتم بأسوأ ختام: لعن الصلاة والمصلين والجامع!!

وعندما أشاع الشيخ يوسف كذبًا في القرية أن محمد أفندي أراد أن يغوي وصيفة بنت محمد أبو سويلم (بقرشين) عندما كان أبوها مسجونًا في دوار العمدة والحق أنه اشترى محصول القطن منه كي يساعده وأسرته..

عندما أشاع ذلك واجهه أحد رجالات القرية بصرامة وقال له إنه كذّاب ومضى، "وأخذ الشيخ الشناوي يقول: الأكادة الواد ده عليه كدب!! بقى هو شاف القطن داخل دار محمد أفندي.. إذا كنت إنت شايفه رايح للصول!!

ولم يعلق الشيخ يوسف وأحس برغبة في ألا يتحدث مرة أخرى في موضوع القطن.. فهو في الحق لم ير القطن يحمل إلى الصول وهو يعرف أنه كان يكذب منذ لحظة، وأن الشيخ الشناوي يكذب الآن ليجامله"[٤٦]

وهذه خصلة رديئة أخرى من الخصال التي خلعها الكاتب على الشيخ الشناوي وكأن الخصال الإيجابية التي ذكرت للرجل في البداية كانت منه تمثيلًا وخداعًا لمن حوله فقد جمع إلى جوار السب واللعن والتكفير كذبًا وافتراءً ويضاف إلى ذلك كله موقفه السلبي في مواقف اقتضت منه غير ذلك.

بعد أن قلصت الحكومة مدة الري من عشرة أيام إلى خمسة اجتمع أهل القرية لينظروا في أمرهم فما كان من الشيخ الشناوي إلا أن طلب من الموجودين أن يقرأوا عدية يس على من قصر مواعيد الري وأن ينتقم الله منه بحق جاه النبي! فانفجر فيه عبد الهادي يعارض الفكرة ويطلب من سيدنا أن يفكر في غير هذا.. أو فليسكت هو ويترك أصحاب الشأن يفكرون"[٤٧]

وبعد صلاة الجمعة طلب من الناس الانتظار ثم قال لهم "إن الله ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها.. ولوح بيديه وتحدث عن حكمة الله وعن لعنته التي أنزلها على القرية لأنها تعصاه فلا تصلي كما أنزل

لعنته على عاد وثمود. وكأنه لم يختر الحديث المناسب لوقته فتململ الناس وضجروا وتساءلوا في استنكار: ما شأنهم وشأن عاد وثمود!

هل سينزل الله المطر في الصيف؟

هناك قرى كثيرة تعصي الله ولا تصلي فلماذا لم تعاقب بقطع المياه .. الله عز وجل لم يقطع المياه.. وإنما الحكومة الغاشمة الظالمة"(٤٨)

كما أنه كان أول الموقعين على العريضة المجهولة وقع دون أن يعرف على أي شيء يوقع ولم يكتف بذلك بل دعا كل أهل القرية للتوقيع عليها أيضًا

"وكان الشيخ الشناوي يطوف بنشاط يطالب الناس أن يذهبوا بأختامهم إلى الدوار...

ورأى عبد الهادي جماعة من الفلاحين يشتمهم الشيخ الشناوي لأنهم لم يذهبوا بأختامهم وما زالوا يتساءلون في شك عن هذه العريضة الجديدة.

وقال عبد الهادي للشيخ الشناوي في استنكار: دهدي!! مش تقرأ لهم العريضة في الأول

فصاح فيه الشيخ الشناوي:

أعوذ بالله منك يا واد يا عبد الهادي! بقى انت مناكف في كله؟ مالكوش دعوة بعبد الهادي يا أولاد.. انجروا انتوا ع الدوار"(٤٩)

ولكي يحمسهم قال لهم:

"اللي يحب الله ورسوله يروح بختمه ع الدوار.. يالا يا كفره! يا بلد زنادقة! واستطاع الشيخ الشناوي أن يجمع عدداً من الرجال ودفعهم بعصاه وشتائمه إلى الدوار"(٥٠)

وبعد هذا كله يصعق أهل القرية بأنهم قد مضوا على التماس بشق طريق زراعية جديدة تمر بين حقولهم لتقتطع منها لصالح السكة!!![٥١]

بل إنه في خضم المعركة التي نشبت في الحقل بين أهل القرية على ماء الري والتي انتهت رغمًا عنهم عندما دهموا جميعا وبهتوا بسقوط الجاموسة في بير الساقية وقد اتجه الرجال والنساء كلهم إلى بئر الساقية وهم يلهثون وإذ ذاك يبرز الشيخ الشناوي بقامته المديدة المتكرشة وهو يصيح: حاسب يا واد حاسب منك له.. إوعوا تقربوها لااحسن تغرقوها.. اقروا الفاتحة إن ربنا ينتع الجاموسة الفاتحة لها يا اولاد!!! وحاول الشيخ الشناوي أن يروي حكاية تشجعهم فاستطرد قائلًا: دا مرة بقرة سيدنا موسى..

ولم يكمل فقد اندفع مسعود أبو قاسم فنحى الشيخ بعيدًا وأوشك أن يوقعه في البئر ويصيح:

ماتغور بقى يا سيدنا.. يا شيخ غور فاتحة ايه وبقرة سيدنا موسى ايه اجروا يا جدعان انزلوا يا رجالة حوشوا يا ولاد يا خراب بيتك يا مسعود يا ابو قاسم يا حش وسطي يانه يا ضياع شقا العمر كله يا كسرتي يانه..

وأخذ يلطم خديه في جزع هائل.. وتحدرت دموعه واختلطت بعرقه المتصبب وصوته المتهدج يرسل أنينًا فاجعًا"[٥٢]

وهكذا تظهر لنا شخصية الشيخ الشناوي:

بسيطة:-

تتسم بالوضوح والبساطة وتخلو من التعقيد والمفاجأة وتتميز بعاطفة واحدة ثابتة تلازمها من أول الرواية إلى نهايتها ويبقى سلوكها معروفًا للقارئ بحيث لا يتوقع تغييرًا جوهريًا في موقعها من الأحداث أو

الشخصيات الأخرى المرتبطة معها في المجال فهي شخصية مسطحة وليست نامية أو متطورة

ثانوية:-

رغم ما قدمته من أحداث أو بالأحرى اشتركت فيه فإنها مقارنة بغيرها لم تكن من الشخصيات الأساسية كعبد الهادي ووصيفة ومحمد أبو سويلم لكن هذا لا يغمطها حقها في كونها عنصراً مؤثراً واضحًا في أحداث الرواية.

إيجابية:-

على الرغم من أن تفكيره سلبي في أصعب المواقف وقد يتصف بالسذاجة فإنه لا يقف بعيداً عن الأحداث جامداً في مكانه عاجزًا متردداً ضعيفًا وإنما يحاول أن يصنع الحدث وإن أخطأ في الوسيلة فقد كان فقيه البلد ذا كلمة مسموعة وإجلال في نفوس أهل القرية .

وقد استخدم الشرقاوي أسلوب الوصف والحوار ليكشف عن الشكل الخارجي والعالم الداخلي للشناوي ويبرز سلبياته وقد أنطق الشيخ بالعامية كثيراً إيغالًا في الواقعية التي يتبناها الكاتب(٥٣).

(أميرة الجبل)، لنجيب الكيلاني:

المتدين في روايات الكيلاني من الشخصيات البارزة في أكثر أعماله وأغلبها تمثل الجانب الإيجابي من حيث التفاعل مع الأحداث والتوافق التام مع نفسها فلا تناقض ولا عزلة عن الأحداث وإنما هي شخصية فاعلة في المجتمع قديمًا وحديثًا(٥٤).

وقد تناول الكيلاني الشخصية المتدينة من جانبها السلبي في بعض أعماله منها شخصية الصوفي الذي يلزم المساجد والزوايا ولا يتفاعل مع بني وطنه ضد مستعمر أو دخيل(٥٥). ومنها شخصية المطوّع (أي الشيخ عند أهل الخليج) التي نقف معها في هذه السطور وهي شخصية حسن بن محمد الذي اتخذ من الدين ستاراً لتحقيق مآربه المادية.

قصة أميرة الجبل تدور أحداثها في دولة الإمارات العربية حيث يعيش (حسن بن محمد) أحد أبناء قبائل الشحوح في إمارة (رأس الخيمة) وهو يحظى بشيء من الحب والتأييد حيث يؤم قومه في الصلاة ويخطب فيهم الجمعة ويرقي مرضاهم وكانوا يرفعونه عاليًا حتى تضخمت ذاته وبلغ منه الغرور مبلغًا.. ومع ذلك حامت حوله شبهات تتعلق بالمال والنساء وكان حريصًا على الزواج من (مريم) بنت شيخ القبيلة مع أنه يكبرها سنًا وعنده ثلاث نساء. ولما فشل من الزواج منها وتزوجت هي من طبيب من غير بلدها بدأ (حسن بن محمد) يثير الفتنة ويحرض ابن عمها (خميس) الذي خطبها قبل ذلك ولم يتزوجها وكذلك حرض (عبد الله) الذي كان يرغبها على قتل الطبيب بحجة أن زواجها من غريب عار لا يمحوه إلا الدم وحاول هذان قتل الطبيب لكنهما فشلا ونجا الطبيب ومريم وقام شيخ القبيلة بنفي حسن بن محمد الذي كان مسعر الفتنة .

القصة في مجملها تمثل صراعًا بين الجهل المتمثل في عادات وموروثات قديمة من جهة والعلم من جهة أخرى وينتصر العلم في النهاية على الخرافات والموروثات البالية.

البعد الخارجي للشخصية:

"كان عريض الجبهة واسع العينين مستطيل الوجه في مقدمة رأسه صلع خفيف يختفي تحت غطرته[٥١](غطاء رأسه الأبيض)

هذا الوصف يدلنا فقط على البيئة التي يعيش فيها (حسن بن محمد) ويبين إحدى عادات أهلها وهي وضع الرجال غطاء على الرأس يسمى (غطرة) تكون بيضاء صيفاً ، حمراء شتاءً في الغالب.

وفي وصفه أيضاً "له عينان كعيني الصقر"[٥٧]

ربما كان هذا التشبيه لما تعرف به بيئة الخليج من اصطياد الصقور أو اقتنائها أو التجارة فيها

هذا الوصف الموجز لا يشير بإيجابية أو سلبية لهذه الشخصية فهو وصف ظاهر لا شيء فيه إلا أن التشبيه بعيني الصقر قد تكون له دلالة على اختياره (مريم) للزواج منها لا سيما وأن عنده ثلاث نساء أخريات فيدل ذلك على طمع في قنص الفريسة كما تفعل الصقور.

البعد الداخلي (النفسي):

يصفه الكاتب بأنه "رجل ذكي جسور لا يعرف اليأس ولا يستسلم للهزيمة"[٥٨]

وفي هذه الصفات ما يرشح قدرة هذه الشخصية على القيام بدورها الذي رسمه الكاتب لها في براعة وإتقان لا سيما وأن للمطوع (حسن بن محمد) مكانته في القبيلة فهو برغم نقائصه "يحظى بغير قليل من الحب والتأييد ولم لا؟ إنه يؤم الناس في الصلاة وخاصة يوم الجمعة ويكتب لهم بعض الرقى لتقوي هممهم وتزيل عنهم بعض الأمراض"[٥٩]

وربما كانت هذه الأعمال دافعًا إلى تعظيم قدره عند كثير من أبناء القبيلة ويعتبرونه السلطة الدينية التي بدونها لا يستقيم شأن الدنيا والآخرة"(٦٠)

ومن هنا بدأ المطوع يستغل جهل أبناء قبيلته وتقديرهم للدين حتى إنه كان يقول: "الدين هو ما أقوله أنا"(٦١) "أنا مصدر البركة وينبوع العلم والمعرفة في أرضكم وإرضائي من إرضاء الله"(٦٢)

على هذا النحو يصوره الكاتب مغرورًا متسلطًا مستغلًا لجهل الناس بأمور دينهم بدلًا من أن يكون متواضعًا، يبالغ في إضفاء القداسة على نفسه:

"لو كنت في أرض غير هذه لقبلوا التراب الذي أسير عليه"(٦٣)

وقد كانت قدراته العلمية محدودة ضئيلة فهو لا يجمع في عقله علمًا يذكر بل إنه خليط من السحر وقليل من محفوظ القرآن وبعض الأحاديث النبوية والآداب الشرعية ونتفًا من السيرة النبوية لا تصل بالرجل إلى العلم والأصالة"(٦٤)

ولعل ما ورثه عن آبائه من مخطوطات قديمة كتب بعضها بدم الغزال وفيها أساليب تكشف المخبوء.. وكيفية استخدام الجان في ربط قلوب المحبين أو التفرقة بينها..(٦٥) لعل ذلك أسهم في إضفاء شيء من الرهبة منه في قلوب من حوله. فهو إذن يجمع بين وظيفة دينية هي الصلاة بالناس والخطابة فيهم ووظيفة اجتماعية أخرى هي ممارسة السحر والتنجيم بين أبناء قبيلته.

شخصية المطوع حسن بن محمد من الشخصيات الرئيسة في الرواية حيث تعتبر محورًا تدور حوله الأحداث ومن خلاله هاجم الكاتب بعض المعتقدات الخاطئة التي كانت سائدة في تلك المجتمعات ومنها رفض الزواج من غير أبناء القبيلة فالمطوع كان حاقدًا على الطبيب الذي تزوج

من مريم ومن ثَم قال: "إن زواجها من رجل غريب عار لا يمحوه إلا الدم"(٦٦)

وقد لاحظنا أن الكاتب صور هذه الشخصية عن طريق السرد المباشر والسرد أحد العناصر الفنية في العمل القصصي وهو طريقة من التعبير ينوب فيها الراوي عن الروائي وعن الشخصيات في سرد أو وصف أو تصوير أركان الحدث ومكونات الشخصية"(٦٧)

وهذه الطريقة هي الأشهر عند معظم الكُتّاب ويستخدم فيها الكاتب التعبير بضمير الغائب ويكون حاكيًا للأحداث مستبطنًا لعوالم الشخصيات وقد رأينا ذلك جليًا في وصف المطوع الحسي والنفسي على السواء.

كما استخدم الكاتب الحوار أسلوبًا في عرض السمات السلبية لهذه الشخصية وقد بدأ تأثر الشخصية بالمعجم القرآني في حواراتها مع الآخرين فمن ذلك حين نفي حسين بن محمد المطوع عن الديار نتيجة سوء فعاله كان يقول عند رحيله:

"لكم الويل يا أبناء الشحوح.

رد عليه أحد الحاضرين القلائل:

- هل هناك ويل غير الذي نعيش فيه؟
- أتجرؤ على مناقشتي؟ من أنت؟
- إنسان يعرف الله ويعتصم بالحق دون أن أعرف القراءة أو الكتابة
- فلتصب عليكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.. ولتحرقكم نار أهل الأخدود ولتسر فضيحتكم على ألسنة الناس في الوجود
- كلامك جميل لكنه لا يدخل إلى قلبي "(٦٨).

ولأن حسن بن محمد مطوع فمن المقبول أن ينطقه بمثل هذه الجمل التي تشتمل على ألفاظ قرآنية مثل (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)وهي في

قوله تعالى {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود}[فصلت:١٣]

وقوله: (ولتحرقكم نار أهل الأخدود) وفيها تأثر بقوله تعالى {قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود}[البروج:٤]

وقد تأثر أسلوبه بالسجع الذي يعطي لونًا من التأثير في نفوس المتلقين وهو يوافق طبيعة خطيب الجمعة. وقد كشف الحوار عن البعد الداخلي أو النفسي للشخصية بما يوحي بالتسلط وعدم الرحمة بالناس. والرفق من مقتضيات الداعية أو الخطيب. وتأتي الجملة الأخيرة معبرة عن أن الوعي قد وجد طريقه إلى أبناء القبيلة وقد ختمت الرواية بكلام شيخ القبيلة للطبيب ومريم: "لقد ملت القبيلة السحر والدجل.. وسنرسل بأولادنا ليتعلموا الدين الحقيقي في أماكن أخرى.. وعندما تعودون ستجدون نمطًا جديداً من المطوعين"(٦٩).

شخصية حسن بن محمد المطوع إذن شخصية سلبية من حيث التفاعل مع الأحداث لأنها تريد أن تنال مرادها عن طريق الاحتيال واستغلال الدين لإقناع الآخرين وبدلًا من محاربة السحر والدجل فقد تلبست بهما وهي شخصية مسطحة من حيث لزومها منحًى واحداً منذ البداية إلى النهاية وهو الطمع وتحقيق الأهداف عن طريق إظهار التدين رغم تقلب الأحوال والأحداث فقد ظلت على تدينها المنقوص حتى تم طردها من البلاد.

نتائج البحث

من خلال استقراء الأعمال الثلاثة وأساليب الكُتّاب في عرضها يمكن الوقوف على هذه النتائج:

١. تصوير الشيخ أو المتدين غالبا ما يأخذ طابعا وصفيا يميل إلى ضخامة البدن وبخاصة الكرش إشارة إلى أنه نهم شره أكول وهي صورة تحدث مفارقة بين الشخص الموصوف وما ينبغي أن يكون عليه من التقلل من الطعام بوصفه معلما أو إماما وخطيبا يدعو إلى الزهد والانصراف عن الدنيا.
٢. اللحية قاسم مشترك عند هذه الشخصيات وهي في الواقع رمز لتمسك الشخص الذي يعفيها بتعاليم الدين ولكن المفارقة أيضًا تظهر من خلال السلوكيات المنافية لما تقتضيه صورة صاحبها.
٣. ركز الكُتّاب الثلاثة على الصفات النفسية والسلوكية لهذه الشخصيات لتكشف عن دخيلتها وتبرز سوءاتها.
٤. رسم كل من طه حسين وعبد الرحمن الشرقاوي الشخصية المتدينة من منظور واقعي فالأيام سيرة ذاتية لطه حسين والأرض من الروايات الواقعية ومن ثَم فإن كلا منهما رسم الشخصية بصورة مباشرة توحي بأنه لا دخل له في تكوينها بخلاف نجيب الكيلاني الذي رسم شخصية المطوع بصورة توحي أنه محرك الشخصية والأحداث وقد بثها من وحي خياله بما يعني أنه قصد من رسمها بث الرؤى الخاصة به واعتقاداته الشخصية حول ما يجب أن يكون عليه المتدين من محاربة العادات والتقاليد البالية.
٥. لم يورد طه حسين على لسان سيدنا آية قرآنية أو بضع آيات مع أنه محفظ للقرآن وكأنه قصد إلى ذلك قصداً ليكشف عن تخلي هذه الشخصية عن القرآن الذي هو مصدر رزقه وجوهر عمله وهي درجة عالية من التناقض عند هذه الشخصية أما عبد الرحمن الشرقاوي فقد أورد على لسان الشيخ الشناوي عدداً من الآيات

القرآنية التي تتناسب مع المواقف التي نطق بها فيها، وكذلك فعل نجيب الكيلاني. وهذا مناسب لأن الوظيفة الدينية التي قامت بها الشخصيتان هي الإمامة والخطابة وهو أمر طبيعي ومعقول ولا يشعر بالتكلف.

٦. الشخصيات الثلاث ليست أبطالًا للروايات وإنما هي شخصيات رئيسة لأنها قامت بدور كبير في صناعة الأحداث وإن لم تكن محورية كشخصية البطل.

٧. الشخصيات الثلاث من نوع الشخصية المسطحة التي تلزم جانبًا واحدًا طوال أحداث الرواية فصفاتها الجشع والشراهة والانحراف عن الجادة.

٨. اعتمد الكُتّاب الثلاثة على أسلوبي الوصف والحوار للكشف عن التدين المنقوص لدى الشخصيات وتميز الحوار بقصر الجمل وسهولتها والدلالة على فكر الشخصية بلغة مناسبة لمستوى إدراكها ولذا ظهرت الحوارات طبيعية غير متكلفة.

٩. اعتمد الشرقاوي على اللغة العامية في حوارات الشخصية وهو واحد من أنصار استخدام العامية لغة للحوار بحجة الواقعية وقدرتها على نقل أفكار الشخصيات ومشاعرها بصدق وفاعلية.

١٠. اتفق الكُتّاب في إبراز الصورة الشائهة للمتدين وكان أكثرهم تشويهًا طه حسين وقد صور (سيدنا) بصورة شديدة السوء بحيث يمكننا أن نعتبرها شخصية فردية حيث لا يتصور أن يكون هناك طبقة على هذا النحو، أما الشرقاوي والكيلاني فإن الشخصية عندهما نمطية أو نموذجية يمكن أن تصدق صفاتهما على غيرهما من الشخصيات المتدينة في الواقع.

هوامش البحث:

(١)ينظر شخصية (مصطفى البشتيلي) في رواية (مواكب الأحرار) لنجيب الكيلاني.

(٢) ينظر شخصية (درويش) في رواية (زقاق المدق) لنجيب محفوظ، وشخصية (الشيخ عليان)في (طلائع الفجر)لنجيب الكيلاني.

(٣)شخصية (حسن بن محمد) المطوع في رواية (أميرة الجبل)، و(الشيخ يوسف) في رواية (الأرض) لعبد الرحمن العشماوي

(٤) ينظر رواية (الحمام لا يطير في بريدة) للكاتب السعودي (يوسف المحيميد).

(٥) انظر رواية (الكفار) لأسامة يس، وكذلك (عرس الزين) للطيب صالح الأديب السوداني، وروايتي (اللاز) و(الزلزال) للكاتب الجزائري (الطاهر وطار).

(٦) اختار البحث الكتاب الثلاثة من مصر حتى لا تتسع دائرته فلا يفي بالغرض.

(٧) انظر: فن القصة، محمد يوسف نجم. ط دار صادر بيروت. صـ ٩٨-١٠١

(٨) ينظر: فن كتابة القصة، حسين القباني، ط مكتبة المحتسب، عمان الأردن١٩٧٤ صـ٧٠-٧١

(٩) بناء الرواية، د/ عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب ، القاهرة١٩٨٢ صـ١١٤

(١٠) قراءة الرواية، محمود الربيعي، مكتبة دار غريب، القاهرة صـ٤٤

ومشاركة الشخصية في الحياة وتفاعلها مع قضاياه المختلفة دليل إيجابية الشخصية، أما وقوفها جامدة تتلقى الأحداث كما تجيئها وتعاني القهر والإحباط والعزلة وتعيش عالمها الداخلي تجتر ذاتها وتلوك أمانيها وتعيش في أحلام اليقظة فهو دليل على سلبيتها. (ينظر: بناء الرواية، د/عبد الفتاح عثمان، صـ١٢٠).

(١١) بناء الرواية ، د/عبد الفتاح عثمان، صـ١٢٢.

(١٢) فن القصة صـ١٠١

(١٣) رواية الأيام، لطه حسين، الجزء الأول، صـ ٣١

(١٤) السابق صـ ٣١

(١٥) السابق صـ ٤٥

(١٦) السابق صـ٤٦

(١٧) السابق صـ٣٠

(١٨) السابق صـ٣٢

(١٩) السابق صـ ٣٤ وينظر ٤٣

(٢٠) السابق صـ٣٤

(٢١) السابق صـ٤٢

(٢٢) السابق صـ٣٩

(٢٣) السابق صـ ٤٣

(٢٤) السابق صـ٦٢

(٢٥) السابق صـ١١٥

(٢٦) السابق صـ٤٩

(٢٧) السابق صـ١١١

(٢٨) السابق صـ٨٠-٨٢

(٢٩) السابق صـ٨٢

(٣٠) السابق صـ٨٤

(٣١) السابق صـ٩٠

(٣٢) السابق صـ١١٤

(٣٣) رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوي ط دار النشر هاتييه القاهرة ١٩٩٧ صـ٩

(٣٤) السابق صـ٢٦٤

(٣٥) السابق صـ١٤٩

(٣٦) السابق صـ٢١٣

(٣٧) السابق صـ١٩٠ وانظر ١٤٨

(٣٨) السابق صـ٢٩٠

(٣٩) السابق صـ٩

(٤٠) السابق صـ١٠

(٤١) السابق صـ١٠

(٤٢) السابق صـ١٩٠-١٩١

(٤٣) السابق صـ١٩٢-١٩٣

(٤٤) السابق صـ٢١٥-٢١٦

(٤٥) السابق صـ٣١٤

(٤٦) السابق صـ٣٨١

(٤٧) السابق صـ٦٣

(٤٨) السابق صـ٧٥-٧٨

(٤٩) السابق صـ١٠٣

(٥٠) السابق صـ١٠٤

(٥١) السابق صـ١٦٦

(٥٢) السابق صـ١٥٨-١٥٩

(٥٣) انظر بناء الرواية د/ عبد الفتاح عثمان صـ٢٥٣

(٥٤) انظر شخصية الشيخ حسنين في (حكاية جاد الله)، والشيخ محمد في (ملكة العنب)، والشيخ البشتيلي في (مواكب الأحرار)، والشيخ عبدالله في (عمالقة الشمال).

(٥٥) ينظر (مواكب الأحرار)، و(طلائع الفجر)

(٥٦) رواية أميرة الجبل، لنجيب الكيلاني، ط. دار ابن حزم بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٨م صـ١٢٠-١٢١

(٥٧) السابق صـ١٧٠

(٥٨) السابق صـ١١٧

(٥٩) السابق صـ٨١

(٦٠) السابق صـ١٩٧

(٦١) السابق صـ١٩١

(٦٢) السابق صـ٨٠

(٦٣) السابق صـ٨١

(٦٤) السابق صـ٨١

(٦٥) السابق صـ١٠٣

(٦٦) السابق صـ١٩١

(٦٧) انظر فن القصة، محمد يوسف نجم صـ ٦٤، ومجلة المنهل عدد ٥٠٤/ ١٩٩٣ صـ١٦٤-١٦٥ من مقال (لغة الفن القصصي، د/طه وادي)

(٦٨) رواية أميرة الجبل صـ ١٩٨

(٦٩) السابق صـ٢١٠